قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

مظاهر وتجليات الاتجاه التنويري في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

Aspects and manifestations of the enlightenment trend in the discourse of the Algerian Muslim Scholars Association

شريفي عبد القادر [1] ، *، أستاذ التعليم العالي : عبد الرزاق قسوم [2]
[1] كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر
[2] كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر

Key words:

Enlightenment - religious discourse - innovation - reform.

Abstract

Through this paper, we seek to highlight the enlightening and progressive aspect of the discourse of the Association of Muslim Scholars, through its activities and stances, this association was formed from a group of distinguished scholars who combined legal sciences and jurisprudence with reality and the requirements of the stage, the scholar among them was a thinker, a writer, a poet, a politician, a reformer, and a journalist with a pen, which resulted in a religious discourse that differs from the usual traditional religious discourse that is accompanied by intolerance, rigidity, and ignorance of the requirements of the stage and the nature of the civilizational conflict that the nation is waging. Their discourse was characterized by realism, intelligence, consideration of interests, and prioritization without prejudice to constants and colleges, this political maturity and religious awareness of the association's scholars had a profound impact on political, cultural and religious life, as the Algerian arena also recorded many responses in favor and opposition to the scholars of the association and their positions and this is the tax of diligence, innovation, and quitting habit and imitation, and it followed the inductive and analytical approach to try to identify some of the positions of scholars on issues and developments, it also concluded that the members of the association were not just traditional religious scholars but also thinkers, which qualified them for diligence and the production of a religious discourse that is open to political and social reality with the use of advocacy and reform tools, such as newspapers, magazines, schools and associations. And from what it reached that the association's scholars were open to reform movements in the East, and its pioneers were influenced by reform symbols such as Muhammad Abdo and Jamal al-Din al-Afghani.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2023-09-29

القبول : 2023-12-14

الكلمات المفتاحية:

التنوير

الخطاب الديني

التجديد

الإصلاح.

ملخص

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إبراز الجانب التنويري والتقدمي في خطاب جمعية العلماء المسلمين، ومن خلال نشاطها ومواقفها ،فقد تشكلت هذ الجمعية من نخبة من العلماء الأفذاذ الذين جمعوا بين العلوم الشرعية والفقه بالواقع ومتطلبات المرحلة ،فكان العالم منهم مفكرا وأديبا وشاعرا وسياسيا ومصلحا وصحفيا صاحب قلم ،مما أثمر خطابا دينيا يختلف عن الخطاب الديني التقليدي المعهود الذي يصاحبه التعصب والجمود والجهل بمتطلبات المرحلة وطبيعة الصراع الحضاري الذي تخوضه الأمة ، فكان خطابهم يتسم بالواقعية والذكاء ومراعاة المصالح وترتيب الأولويات دون المساس بالثوابت والكليات ، وقد كان لهذا النضج السياسي والوعي الديني لدى علماء الجمعية أثره البالغ على الحياة السياسية والثقافية والدينية ،كما سجلت الساحة الجزائرية الكثير من الردود المؤيدة و المعارضة لعلماء الجمعية ومواقفهم وهذه ضريبة الاجتهاد و التجديد والإقلاع عن العادة والتقليد وقد اتبعت المنهج الاستقرائي والتحليلي بمحاولة الوقوف على بعض مواقف العلماء من القضايا والمستجدات كما خلصت الى أن أعضاء الجمعية لم يكونوا مجرد علماء دين تقليديين ، بل مفكرين أيضا مما أهلهم للاجتهاد و إنتاج خطاب ديني متفتح على الواقع السياسي والاجتماعي مع توظيف أدوات الدعوة والإصلاح ،كالصحف والمجلات والمدارس والجمعيات ومما توصلت إليه تفتح علماء الجمعية على الحركات الإصلاحية في المشرق وتأثر روادها برموز الإصلاح كمحمد عبده وجمال الدين الافغاني.

* Corresponding author at : Algiers2. University Algiers, ALGERIA.
Email : abdelkader.cherifi@univ-alger2.dz

1. مقدمة

عندما كانت أوربا تعيش القرون الوسطى كانت الحضارة الإسلامية تعيش عصرها الذهبي ،فيمكن القول أن قروننا الوسطى و عهد التخلف والظلامية والرجعية تزامن مع تمدد الاستعمار الحديث في البلاد العربية والإسلامية بعد ثورة أوربا الصناعية، فقد عمّ الجهل والأمّية، و ارتفع صوت النعرات الطائفية والنزعات القومية وتحول الخطاب الديني إلى خطاب كهنوتي قدري جبري يبرر الاستعمار ويخدر العقول، ويستعبد الأرواح فصار رجل الدين وسيطا بين الله والعباد، و هو من يمنح صكوك الغفران وصارت الأضرحة قبلة المضطرين، وكان ذلك بتواطؤ من المحتل وتشجيع، أحيانا فأشبهت هاته الحالة ما كانت عليه أوربا في عصورها المظلمة من تحالف الاستبداد السياسي مع الاستبداد الديني وحتى لا نرمى بالمبالغة فإن التشابه هنا لم يصل إلى حد التطابق لأن المسلمين كانوا لا يزالون حديثي عهد بأفول حضارتهم وزوال دولتهم التي عمّرت عشرة قرون.

وفي ظل هذه الأوضاع المتردية تعين على علماء الأمة ومفكريها ونخبتها أن تتحمل مسؤوليتها لرفع الجهل والتصدي للخرافة والدجل والأخذ بأسباب النهوض والرقي والتحرر من قيود الاستعمار باعتباره شريكا وسببا مباشرا لما وصلت إليه الشعوب وتصحيح مفاهيم الدين الذي تحول الى أداة للارتزاق وتسويق الاستبداد وتنقيته مما علق به من خرافات وهرطقة تتنافى مع مقاصد الدين وروح الشريعة.

لا خلاف في كون النزعة التنويرية ظهرت ابتداء في بيئة أوربية مسيحية أملتها الظروف واستدعتها الأوضاع السياسية والدينية والثقافية التي عاشتها أوربا إبان القرون الوسطى، فقد حجب سلطان الكنيسة، و رجال الدين سلطان العقل والعلم، وصار العلماء والمفكرون وراد الإصلاح يقادون إلى الموت بتهم الزندقة وازدراء الأديان، وبناء عليه ظهر فلاسفة التنوير وسطع نجم المفكرين ورواد الإصلاح معبرين عن رفضهم للوضع السائد مطالبين بإعطاء دور أكبر للعقل والعلم ، وقد تجسّدت تلك المطالب في الثورة فرنسية، والتي حملت شعار:" اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس باعتبار أن الملك يرمز إلى الاستبداد والطغيان والقسيس يرمز إلى الظلامية والكهنوت .

والإشكال هنا يكمن في مصطلح التنوير الذي فرضه سياق تاريخي عرفت به أوربا المسيحية ، وبناء عليك تحتّم علينا الإجابة عن التساؤلات التالية :

ما حقيقة التنوير ؟

وهل يكون قاصرا على فترة القرون الوسطى فيكون مختصا بفلاسفة الأنوار دون غيرهم، أم أنه يمكن التعدي بالمصطلح إلى شعوب وأمم أخرى ؟

هل كانت جمعية العلماء المسلمين تتبنى الاتجاه المحافظ والمتشدد أو ما يسمّى بالاتجاه السلفي أم كانت تنويرية الخطاب ؟

وإذا كان لجمعية العلماء المسلمين نزعة تنويرية فما هي تجلياتها في خطاب علماء ومفكري الجمعية من خلال مواقفهم وخياراتهم الفقهية والسياسية وأنشطتهم الدعوية والإصلاحية ؟

للإجابة على التساؤلات اعتمدت المنهج التحليلي والاستقرائي بتتبع فتاوى واجتهادات علماء الجمعية في مختلف القضايا والنوازل التي عرفها المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية مع محاولة الوقوف على الأبعاد التنويرية في خطاب الجمعية.

كما تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق العناصر التالية :

- إبراز جهود جمعيات العلماء المسلمين الجزائريين ودورهم في إنتاج خطاب ديني معتدل، وتنويري يلبي متطلبات المرحلة الخطيرة التي مرّ بها الشعب الجزائري من خلال التحديات والتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

- تثمين جهود العلماء الجزائريين وبيان دورهم وإسهاماتهم في إثراء التراث الفقهي في العالم العربي والإسلامي .

- إحياء التراث الإسلامي الجزائري ومحاولة الاستفادة من تجارب علمائنا ورموزنا لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل .

- الرد على بعض الطعون المشككة في أهلية العلماء الجزائريين والقدح في مرجعيتهم الفقهية والعقائدية واتهامهم تارة بالتشدّد وتارة أخرى بالميوعة.

2. تعريف التنوير

2 1. **لغة** : التنوير في اللغة العربية مصدر الفعل المضعف (نوّر) والفعل نوّر معناه أضاء، يقال نوّر الله قلبه: يعني هداه إلى الحق والخير، ونوّر الصبح أسفر، والتنوير هو وقت إسفار الصبح يقال: صلى الفجر في التنوير أي صلّى الفجر في وقت الإسفار. واستنار بمعنى أضاء، ويقال: استنار الشعب، أي صار واعيًا مثقفًا . (**مجمع اللغة العربية**، 1425/2004، **صفحة** 962)

2.2 ـ **اصطلاحا**

يختلف معنى ومفهوم التنوير لدي التيارات والمدارس الإصلاحية والفكرية في العالم الغربي والإسلامي بين متوسط ومتطرف فكل تيار له اصطلاحه الخاص في تعريف التنوير أو تقديم مفهوم خاص به.

ـ الاصلاح الصوفي

عرّفه الإمام الغزالي فقال : "النور هو العلم اللدني أو الوهبي أو العلم الإلهامي وهو نور يقذفه الله في قلب المؤمن.

ولاننسى في هذا الإطار العنوان الموحي لكتاب الصوفّي الشهير إبن عطاء الله الاسكندري، وهو "التنوير في إسقاط التدبير". (**الدكتور عبد اللطيف الشيخ الشيرازي الصباغ**، 2005، **صفحة** 9)

وهذا الضرب من التنوير يستبعد العقل ويعطي الأولوية لتحصيل المعرفة والاستنارة إلى قدرات غيبية ميتافيزيقية تتجاوز قدرات العقل ويعبّر عنها بالعرفان أو الإلهام كما هو مقرر عند أرباب التصوف.

ـالاصطلاح الغربي

فهو الاستخدام العام لعقل الإنسان في جميع القضايا، وتبني شعار "لا سلطان على العقل إلا للعقل"، وهو شجاعة استخدام العقل ولو كان ذلك

ضد الدين وضد النص، والدعوة إلى تجاوز العقائد الغيبية، والإيمان بقدرة الإنسان الذاتية على الفهم

والتحليل والتشريع، والدعوة إلى الدولة العلمانية، وتجاوز النص الديني أو إهماله أو تفسيره تفسيرات بعيدة عن سياقه وعن قواعد التفسير الموضوعية، وهو الدعوة إلى المنهج التجريبي الحسي المادي واعتباره المنهج الوحيد الجدير بالثقة والاتّباع. (**الدكتور عبد اللطيف الشيخ الشيرازي الصباغ**، 2005، **صفحة** 10)

ـاصطلاح التيار المسيحي الإصلاحي

يعرفه برس غاردنر percy gardener بأن التنوير والعصرنة لا يعني إلغاء حقائق الدين المسيحي إنما يهدف إلى إنعاش هذه الحقائق، و تجديدها على ضوء المعرفة النامية ، وإعادة تفسيرها بطريقة تلائم ظروف العصر الثقافية (**د.أحمد اللهيب**، 1432، **صفحة** 64)

وهذا التيّار يحاول أن يوفق بين الديانة المسيحية وروح العصر فهو يمسك العصا من الوسط ونظيره في العالم الإسلامي هو التيار الإصلاحي العقلاني المعاصر .

ـاصطلاح التيار الإسلامي الإصلاحي التجديدي :

فيعرفه الدكتور التويجيري بأنه " حركة إحياء إسلامي في الإتجاه الذي يحقق المقاصد العليا للإسلام في حياة المسلمين، والتنوير بهذا لمفهوم العميق والشامل والجامع هو تجديد لمفاهيم الدين، ولوظيفة الدين، للخروج من الجمود والقعود، إلى ساحات العمل الجدي الهادف النافع للأمة على هدى تعاليم الإسلام، وفي إطار الأخوة الإسلامية التي تجمع بين الأسرة الإسلامية الواحدة من منطلق التضامن الإسلامي ، أن أحدا ممن وهبه الله فقها مستنيرا لواقع الأمة، لا يمكن أن ينكر أن هناك حاجة شديدة الإلحاح إلى الإصلاح، وإلى التغيير الإيجابي وإلى إعادة بناء أسس الحياة في المجتمعات الإسلامية، وليس من سبيل إلى ذلك إلا بالعمل الإسلامي الرشيد في إطار ضوابط الشرع الحنيف، ومن خلال فهم مستنير بصحيح الدين لمقتضيات الحركة في الاتجاه الصحيح ولمتطلبات البناء على القواعد الراسخة، وهذا هو المعنى العملي للتنوير الإسلامي ". (**التويجري**، 2011)

وهنا مفهوم الدكتور التويجري للتنوير يكاد يكون متطابقا مع مفهوم التجديد فهو عنده حركة إحياء تهدف إلى ربط المسلم بواقعه دون تجاوز الثوابت والتي عبر عنها الدكتور التويجري بالقواعد الراسخة بشرط أن تكون وفق مقاصد الشرع.

ويحاول الشيخ مبارك الميلي من خلال هذه الفقرة أن يقدم مفهوما للتنوير بالتطرق إلى حقيقته و وسائله وأهدافه فيقول :

"لهذا حاول الذين تنبهوا من أفراد هذا الشعب التقصي والخروج من ربقه أولئك الرؤساء المبتدعين والاستعاضة بنور العلم عن ضلال تقاليدهم ومشاريعهم الجائرة الزائفة عن محجه الطريق والتي لا تلتئم مع أي شريعة ولا أي دين سيما وهذا العصر عصر ترق في الأفكار وتقدم في العلوم فهو يقتضي فك كل قيد وطرح كل غل يحول دون الاستنارة بنور العلم الصحيح وشم نسيم الحرية في الرأي والاستقلال في الفكر" . (**الشيخ مبارك الميلي**، 1933)

من خلال هذا المفهوم، فقد جمع الشيخ الميلي كل مصطلحات وأدوات التنوير في هذه الفقرة كالعلم والتقدم وحرية الرأي واستقلال الفكر وصرح بمصطلح الاستنارة مع وصفه لأعداء التنوير بالجهل والتقليد والجو، أي أنه يمكن الحكم على هذه الفقرة بأنها فقرة تنويرية بامتياز .

3.مظاهر وتجليات الاتجاه التّنويري في خطاب جمعية العلماء المسلمين

1.3 موقف جمعية العلماء من المدنية الحديثة

عبرت الجمعية عن موقفها من التمدن والتحضر عبر مقال في جريدة السنة المحمدية والتي اختصرتها في هذه الفقرة :

"وليس التمدن عندنا بتلك المظاهر البراقه والصور الرائعه الخلّابه في حال ترتكب فيها الأفعال المخزيه أعمال المرديه كلا ولكنه علم وعمل صالح في سعاده ونظام وأمن وسلام فمرحبا بكل تمدد نرى من نتائجه استتباب الأمن واستبحار العمران وتمهيد طرق المواصلات، وسرعة السير إلى الأمام واستثمار ما أودع الله في الكون من خيرات وكنوز ومرحبا بالتمدن الذي يحفظ مصالح بني البشر المشتركة مرحبا ،ومتى كان قوام هذا التمدن العصري وروحه الحقيقي إنما هو العلم النافع فمرحبا به ألف مرة ومرحا لأنصاره ومؤازريه وإن دين الاسلام ليوجب طلبه على أتباعه وشدّه الرحلة ولو إلى بلاد الصين للحصول عليه." (**احمد الرفاعي شرفي**، 2011، **صفحة** 233)

من خلال هذه الفقرة فإن مفهوم الحضارة والتمدن يتجاوز المظاهر البراقة والتمدن الزائف الذي يغلب المادة ويهمل الجوهر والروح ،فيعطي الأفضلية للحياة الدنيا ويهمل الآخرة وثمرة هذا العلم والتمدن هو تحصيل الأمن والاستقرار.

2.3 ـموقفهم من البدع و التقليد والتعصب

صرح علماء الجمعية على جريدة المنتقد بأن دعوتهم الإصلاحية تقوم على نبذ التعصب والتقليد ومن ذلك قولهم :

"ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدّين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته ،وعاد وبال ذلك الفساد علينا وتأخّرنا من حيث يكون تقدمنا " (**الدكتور أحمد الرفاعي شرفي**، 2011، **صفحة** 30)

فموقفهم أن تخلف المسلمين مردّه إلى شيوع البدع والمحدثات في الدّين وتحريف الخطاب الدّيني من بعض شيوخ الضلال وقد غبر عن تلك الحالة الشيخ.

"وصاروا يعرفون الحق بالرجال ويقتادون بهم في الأفعال والأقوال، و كل طائفة تنظر رئيسها بعين الكمال ،وتنسب غيره إلى النقيصة والضلال ،فصار أتباعهم لهم أتباع تشيّع لا أتباع تشرّع حتى إنهم لتنشرح صدورهم لسماع آية أو حديث من غير فهم ،فلو أفهمتهم ما تلوته عليهم لوجدوه ناعيا عليهم بعض أعمالهم ،ولألفيتهم عن سماع ما تلوته لاهين وعن التذكرة معرضين ." (**الدكتور أحمد الرفاعي شرفي**، 2011، **صفحة** 32)

وهذا كلام صريح في نبذ التعصب للرجال والركون إلى التقليد ودعوة صريحة إلى وجوب اتباع النصوص والخضوع للدليل من قرآن وسنة والنهي عن الإعراض عنهما ، فمن أساب تخلف الأمة وتأخر نهضتها ، جمود النّاس على أقوال مشايخهم وتمسّك كل صاحب طريقة بطريقته فدبّ الكسل الحضاري والركود الفقهي والعلمي.

3.3. موقفهم من إذاعة القرآن على موجات الراديو

لما كان الراديو أمرا مستجدّا لا عهد للمجتمع به انبرى بعض المتنطعين إلى منع إذاعة صوت القرآن على موجات الراديو بحجة أن استماع القرآن على موجات الراديو فيه إهانة للقرآن، وأن الردايو يقطع الكلمة، ولا يعطي الحروف مخارجها، وفي هذا ما فيه من المساس بالكتاب كما ادّعى بعضهم . (**أبو عبد الرحمن محمود** ، 2015، **صفحة** 783).

فرد الشيخ الميلي عليهم هذه المزاعم فقال : " لكن اذا قلتم ورأيتم هذا وعللتم بهذا ،أرجوكم ألا تنسوا أن القرآن قد يسمعه بواسطة الراديو العاصي فيرجع ويطيع ،وقد يسمعه الكافر فيرق قلبه فيؤمن وقد يسمعه الضال فيهتدي لكن لماذا نذهب هكذا والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد قرأ القرآن على مسمع من الكفار والمنافقين .؟ (**أبو عبد الرحمن محمود** ، 2015، **صفحة** 783)

وتعليل الشيخ يستند إلى قياس قراءة الراديو على قراءة النبي للقرآن على مسمع الكفار والمنافقين فكلاهما قراءة والثاني هو تحقيق المصلحة الغالبة من حصول الهداية لغير المؤمنين ولا يخفى الملمح التنويري المتفتح على متطلبات العصر من طرف الشيخ مبارك الميلي.

4.3. موقفهم من تعليم النّساء

أدرك رجال الجمعية أهمية المرأة ودورها الخطير في نهضة المجتمع فجعلوا للمرأة نصيبا من الإصلاح والتهذيب ،وهذا يتطلب مواجهة لكل التقاليد والأعراف النصوص التراثية التي تصطدم مع روح الشريعة ومقاصدها ،و أعني هنا بالنصوص التراثية الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استند إليها التراثيون والمانعون لتعليم المرأة ومن ذلك حديث :" لا تنزلوهن الغرف ولا تعلمونهن الكتابة وعلموهن المغزل وسرورة النور "

هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرج انتهى المستدرك للحاكم .

علق الشيخ على الحاكم بقوله :" بل موضوع و آفته عبد الوهاب قال أبو حاتم كذاب."(**محمود**, **أبو عبد الرحمن**، 2015، **صفحة** 429)

فقد حكم عليه الشيخ مبارك الميلي بالوضع مستندا إلى علماء الحديث كالذهبي.

وهذا يكشف تعامل علماء جمعية المسلمين مع التراث والعمل على تنقيته بعرضه على علوم الحديث والعقل البشري فليس كل ما ينسب إلى الشرع هو من الشرع وليس كل ما ينقل من الأحاديث فهو صحيح ، فقد فحص الشيخ الحديث من حيث الإسناد.

أما من جهة المتن فقد رد بأن المصلحة والمفسدة التي تذرع بها المانعون لا تنهض للاستدلال فيقول "ونحن نرى ما يراه الفريق الأول ،ونجيب عن اختلاط البنين والبنات في المكتب، بأن البنت مالم تبلغ حد الحجاب ،مختلطة مع الإبن في الأزقة والرحاب وهذا مشاهد لا مغمز فيه ،وليس الاختلاط في الأزقة حيث لا مربّي ولا رقيب ،بأضمن لعفة البنت في مستقبلها من الاختلاط في المكتب أمام المعلم المربي ." (**الدكتور أحمد الرفاعي شرفي**، **صفحة** 462)

ثم ساق الشيخ الأحاديث والآثار الدالة على تعليم البنات الكتابة ومن ذلك حديث الشفاء بنت عبد الله قالت: "دخل علي رسول الله وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال :" ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة"، و في الحديث دليل على أن تعليم النساء الكتابة غير مكروه. (**محمود**, **أبو عبد الرحمن**، 2015، **صفحة** 430)

وبعد أن انتهى من تضعيف الأحاديث المانعة لتعليم البنات وحكم عليها أنها موضوعة أو ضعيفة دعّم قوله بأحاديث تدل على مشروعية تعليم البنات فخلص إلى قوله :" وإذا انتهينا إلى بيان حكم تعليم الكتابة للبنت وأثبتنا أنّها كالابن في ذلك لم يبق إلا أن ننصح للمسلمين بتعليم أبنائهم وبناتهم العلم النافع " (**محمود**, **أبو عبد الرحمن**، 2015، **صفحة** 432)

ويكون الشيخ بذلك قد تجاوز الموقف التراثي الذي يهمش المرأة ويحرمها من حق التعليم مفندا أدلة الخصوم، فعند التأمل يظهر أن هذه الأحكام مستندها عند التأمل هو الأعراف والتقاليد الاجتماعية وليس الدّين .

وهذا الشيخ الإمام الابراهيمي يقوم بتوصيف ما كان عليه حال تعليم المرأة وما صار إليه في زمن الجمعيّة فيقول :

" كان الجمود واقفا في سبيل المرأة ومانع من تعليمها فجاءت جمعيه العلماء وأذابت الجمود وكسّرت السدود وأخرجت المرأة من سجن الجهل إلى فضاء العلم في دائرة التربية الإسلامية والمنزلة التي وضعت المرأة فيها ،و الجمعية تبني أمرها على حقيقه وهي أن الأم كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحها الرجل والمرأة فالأمّه التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد فهي واقعه لا محالة ". (**الشيخ محمد البشير الابراهيمي**، 2016، **صفحة** 170)

وهذا حديث صريح للإمام الإبراهيمي في تجاوز الجمعية للنظرة التقليدية للمرأة و التي تحكمها العادات والتقاليد والأعراف البالية وأن الجمعية كسرت هذا الجمود والركود الديني والثقافي الذي يعرقل مسيرة التحرر لدى الشعب الجزائري.

ثم يتحدث الإمام الإبراهيمي عن جهود الجمعية ونتائج أنشطتها في تعليم النساء بلغة الأرقام والإحصائيات قائلا :

"وفي مدارس جمعيه العلماء نحو ثلاثة عشر ألف بنت يشاركنا الأولاد في السنوات الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية ثم ينفردن ببرنامج محكم وينعزلن في صفوف خاصة مع الشدة في التربية الإسلامية والدقّة في المراقبة ." (**الشيخ محمد البشير الابراهيمي**، 2016، **صفحة** 170)

5.3- موقفهم من المزارات و الاستعانة بالموتى

عرف المجتمع الجزائري إبان الفترة الاستعمارية الكثير من الظواهر الاجتماعية والدينية ولعلّ من أبرزها زيارات المقامات والقباب والأضرحة والاستعانة بأصحابها والدعاء عندها ، وقد كانت هذ المظاهر عند جمعية علماء المسلمين تشكل قدحا في جناب التوحيد الذي قام عليه هذا الدين ، فصرفت العبادات الى العباد وتعلقت قلوب الناس بأصحاب المقامات وطلبت عندهم الحاجات ،وصار النّاس يحجّون إليها لكشف الكربات وتفريج الملمّات ، وقد كان للاستعمار يد في هذا التخلف الديني والعقائدي بدعمه تارة و تواطئه تارة أخرى وقد تقاطعت مصلحته في تجهيل الشعب مع مصلحة شيوخ الهرطقة المقتاتين بالدّين على حساب مصلحة الأمّة فكتبت المقالات الإصلاحية والتنويرية وأقيمت الدروس وألّفت الكتب والرّسائل ،و في هذا الشأن ألّف الشيخ مبارك الميلي كتابه الشرك ومظاهره ليعالج فيه هذه الظواهر الغريبة المستفحلة في المجتمع الجزائري على حين غفلة من الناس ، حيث يقول في هذا الشأن :

"ومن مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران والتمسح بالحيطان ،يضاف إلى ذلك المكان وكل هذا جهل وضلال فإنّ توحيد الله متناول لتوحيد التوجه إليه والاستعانة به لم ينصب له سببا عاديا وابن آدم بلغ فضل ما بلغ ليس له إلا التصرف المعتاد ما دامت روحه بجسده في عالم الشهادة ولا تأثير للأرواح التي في عالم الملكوت في شيء من عالم الملك ومن عاند في ذلك فجربه بأن تشتري منه أرضا مثلا بالدين فقل له أن جدّك الوالي الصالح الذي كان يملك هذه الأرض وورثتها عنه قد جاءتني روحه وأخذت منّي الثمن فما يكون جوابه ؟كيف يحكم النّاس على هذه الدعوى ؟ " (**الشيخ مبارك الميلي**، 2001، **صفحة** 362)

يلاحظ من خلال الرد أنّ الشيخ يتبنى الخطاب العقلاني والواقعي فهو يربط الأشياء بأسبابها والاستعانة بالأموات ليسن من الأسباب الشرعية ولا المادية ثم ضرب مثلا واقعيا لإفحام الخصم وإلزامه الحجة فمن يقبل بالرؤى المنامية في مجال العبادات لن يقبل بها في مجال المعاملات والالتزامات المالية وسيضطر على الرجوع إلى العقل والمصلحة لتحصيل حقه.

6.3- موقفهم من الولاية في الدين والغلو في الصالحين:

لما اختلط على الناس مفهوم الولاية والولي صار كل مشعوذ ومستدرج أو ساحر وليا لله ،صاحب حظوة ومكانة لدى العامّة ،تساق إليه الهدايا والأعطيات وتنال منه البركات عمل علماء الجمعية إلى بيان حقيقة هؤلاء الدجالين حتى لا ينفتن بهم الناس فيضيع عليهم دينهم وتفوت عليهم مصالح دنياهم ، وقد بين ذلك الشيخ الميلي في قوله :

"أما الولي عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطرقية ولو كان في جهله بدينه مساوي لحماره وإما من اشتهر بالكهانة، وسمّاه حسب اصطلاحهم مرابطا ولو تجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات وأمّا من انتسب إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحيا لا يحرم حراما وحقّ هؤلاء الأولياء على النّاس الجزم بولايتهم وعدم التوقف في دخولهم الجنة ثم الطاعة العمياء ولو في معصيه الله وبذل المال لهم ولو أخل بحق زوجته وصبيته والثقة بهم ولو دخلوا بالخرد العين وبعد فهم المطلوبون في كل شده ولكل محتم بهم عدة وهم حماة للأشخاص وللقرى والمدن كبيرها و صغيرها حاضرها وباديها فما من قرية بلغت ما بلغت في البداوة أو الحضارة إلا ولها ولي تنسب إليه فيقال :" فلان هو مولى البلد الفلاني ويجب عند هؤلاء الناس أن يكون علماء الدين خدمه لهؤلاء الأولياء مقرينا لأعمالهم وأحوالهم غير منكرين لشيء منها وإلا أوذوا بضروب السّباب ومستقبح الألقاب وسلبوا الثقة بعلمهم، و وشي بهم إلى الحكّام وذلك حظّ الدّعاة إلى السنّة من مبتدعي هذه الأمّة . (**الشيخ مبارك الميلي**، 2001، **صفحة** 180)

والشيخ هنا ينفي الولاية عن الجهّال والمقصّرين في الفرائض وما يظهر عليهم من خوارق فإنما هو من قبيل من السحر والشعوذة والاستعانة بالشياطين فلا ولاية لجاهل أو فاسق مضيع للواجبات.

7.3- موقفهم من ذبائح أهل الكتاب

اختلف الفقهاء والعلماء في أكل ذبيحة أهل الكتاب فأفتى بعض بالتحريم إذا لم تتوفر فيها الشروط وهي التذكية الشرعية وذكر اسم الله عليها فإن لم تذكى بالطريقة

الشرعية أو لم يذكر اسم الله عليها فهي محرمة لدلالة النصوص على التحريم كقوله :﴿ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ الأنعام 121

و ذهب الشيخ أبو يعلى الزواوي في اختياراته الفقهية إلى جواز أكل ذبيحة أهل الكتاب حتى ولو لم تذكى بالطريقة الشرعية وحتى ولو لم يذكر اسم الله عليها إن كانت معدة للطعام لأن ذلك داخل في عموم قوله تعالى :﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ المائدة 5 .

وحجته في ذلك أن المانعين قالوا بالتحريم متأثرين بذوقهم وإحساسهم وشعورهم، فكأنهم اشترطوا الذبح على الطريقة الإسلامية ، وهذا غير صحيح، فقد أباح الشرع الزواج بالكتابية، ولم يشترط منها صلاة ولا زكاة ، وإباحة الطعام هنا تشبه إباحة الزواج فالمسألة هنا لم تعد أذواق وأماني، وإنما تقيد بظاهر النص الذي اشترط أن يكون من طعامهم فإن ذبحوه لمجرد التقرب للمسيح ولم يكن طعاما لهم فهو حرام، وكذلك ما ذبح للأصنام. (**الدكتور أحمد الرفاعي شرفي**، 2011، **صفحة** 223)

وهنا يلاحظ ان فتوى الإمام أبو يعلى الزواوي كسرت الجمود وما درج عليه الناس من عادات ،وهذه الفتوى فيها من التيسير والتنوير ما يرفع الحرج والعنت عن الناس خاصة في ديار الغربة عندما يقل اللحم الحلال وتشتد الحاجة مع انعدام البدائل الإسلامية فلا مانع من استهلاك ذبائح النصارى وأهل الكتاب عامة عملا بظاهر النص وتحقيقا لمصالح العباد.

8.3. موقفهم من ممارسة النَشاط السياسي

لقد كان لجمعية العلماء المسلمين رأيا مباينا للتيار الديني السائد في الجزائر وهو التيار الطرقي أو الصوفي الذي اختار النأي بالنفس عن العمل السياسي واختار العزلة وعدم إقحام الدين في السياسة متشبها بالمنهج الكهنوتي المسيحي في القرون الوسطى دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، بل إنه وظف الدين في مناسبات عديدة لصالح المستدمر فاكتفى بدور المبارك و المخذل وأخرج الدين من الحياة السياسية بالكلية ، ولذلك عبر العلامة الابراهيمي عن موقف الجمعية في قوله :

"نحن سياسيون منذ خلقنا، لأننا مسلمون منذ نشأنا، وما الإسلام الصحيح بجميع مظاهره، إلا السياسة في أشرف مظاهرها، وما المسلم الصحيح إلا المرشح الإلهي لتسيير دفتها، أو لترجيح كفتها فإذا نام النائمون منا حتى سلبت منهم القيادة، ثم نزعت منهم السيادة، فنحن إن شاء الله كفارة الذنب، وحبل الطنب "وهو في هذا النص يمزج السياسة بالدين ثم لا يخفي نظرة العتاب واللوم على من سبقه فيصفهم بالنوم والتفريط في حق الأمة في القيادة ليقدم علماء الجمعية على أنهم هم البديل وانهم احق بها وأهلها . (**الشيخ محمد البشير الابراهيمي**، 2016، **صفحة** 260)

ثم يؤكد على هذا المعنى ويثبته بقوله :

"نحن سياسيون لأننا ديننا يعد السياسة جزءًا من العقيدة، ولأن زماننا يعتبر السياسة هي الحياة، وأنها آية البطولة، ولأن وضعها يصير السياسة ألزم للحياة من الماء والهواء، ولأن السياسة نوع من الجهاد، ونحن مجاهدون بالطبيعة، فنحن سياسيون بالطبيعة." (**الشيخ محمد البشير الابراهيمي**، 2016، **صفحة** 261)

ويؤكد الشيخ الإبراهيمي هذا المعنى مفندا مبدأ فصل الدين عن الدولة فالمسلم مطالب أن يفهم الحياة والسياسة جزء أصيل من الحياة وانفصاله عن السياسة هو انفصال عن الحياة وهذا خلاف مقاصد الشريعة ن بل غنه بجرد العالم من صفة العلم مالم يكن عالما بالسياسة :

"إذا كان الإسلام دينا وسياسه فجمعية العلماء دينيه سياسيه قضيه مقنعة لا تحتاج إلى سؤال وإلى جواب وجمعية العلماء ترى أن العالم الديني إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا لها فليس بعالم واذا تخلى العالم الديني عن السياسة فمن ذا يصرفها ويديرها لا شك انه يتولى الجاهل المتحلل فيغرق السفينة ويشقي الأمه وكثيرا ما غلطنا الاستعمار حين يضيق ذرعا بنا فيقول أنتم علماء دين فما لكم وللسياسة ؟ إن الدين في الإسلام سياسة وإن السياسة دين." 171 (**الشيخ محمد البشير الابراهيمي**، 2016، **صفحة** 171)

وما يؤكد ذلك ما جاء على لسان خصوم جمعية علماء المسلمين حيث كتبت صحيفه صدى باريس لسان حال النخبه الفكريه الفرنسيه ونشرته جريدة البصائر العدد 61 بتاريخ 2 أبريل 1937 أنّ الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر أكثر خطرا من جميع الحركات التي قامت حتى الآن فيها لأن العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين الأوّل سياسي والثاني ديني... فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا، يفتشون في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السياسي. (**عبد الرحمن شيبان**، 2009، **صفحة** 202)

وليس بعد حكم وتصنيف النخبة الفرنسية لجمعية العلماء على أنها جمعية سياسية رأي أو حكم، فالحقّ ما شهدت به الأعداء.

وهذا كلام ظاهر في اعتبار السياسة جزءا من الدّين وأن الدّين هو الحياة أو بمعنى آخر لا يمكن فصل الدين عن السياسة لأن الدّين ليس حبيس المساجد والزوايا، بل هو كل ممارسات المسلم في معترك، و ميادين الحياة ،فالمسلم بطبيعته وجبلته يولد سياسيا ،و فيه ردّ صريح على الخطاب الدّيني المتبلّد والمتحجّر الذي يحشر الدّين في زاوية ضيقة لا تتعدى إحياء المناسبات الدينية وإقامة الشعائر والطقوس الدينية، وظاهر هنا تجاوز الجمعية للخطاب الكهنوتي الذي يفصل الدين عن السياسة.

9.3. موقفهم من كراء الأسواق

عرف المجتمع الجزائري أثناء الحقبة الاستعمارية ظاهرة جديدة عليه وهي كراء الأسواق فعلى كل داخل إلى السوق من أصحاب البضائع والسلع أن يدفع مقدار من المال مقابل

انتفاعه بالمكان المخصص له، فجمد قوم على النّصوص وظنّوا أنّ هذا من المكس المحرم مستدلين بالحديث "لا يدخل الجنّة صاحب مكس"، لكنّ الشيخ عبد الحميد بن باديس أفتى بالجواز لأنّ التّحريم كان في زمن كانت فيه الأسواق ملكا مشاعا بين النّاس فكان أخذ المكس ظلما لهم ، أما وقد تغيّرت الأوضاع وصارت الأسواق تعرض للكراء ، بحيث يدفع المكتري ثمن أجرة الانتفاع بالبقعة التي يقف فيها بسلعته مدة معينة فهذا عقد على الانتفاع بالبقعة مدة معلومة بثمن معلوم ،فصح العقد وجاز البيع ولا يلحق هذا النوع من المعاملات بأصحاب المكوس الظالمة لوجود الفارق بينهما . (**الشهاب**، **عبد الحميد بن باديس**، 1933، **الصفحات** 165-166)

وهذا فقه عميق وفهم جميل ووقوف على المستجدات ومواكبة للتطورات وكسر للجمود الفقهي فالشيخ ابن باديس هنا أجاز كراء الأسواق واعتبر العملية عقدا من العقود الجائزة، ولم يلحقه بالمكس المحرم بعد بيان الفوارق بينهما ، وهذا يعكس فقه وعلم الشيخ ابن باديس، ومواكبته للنوازل، وإدراكه لمقاصد التشريع، وفيه يتجلى خطاب التيسير والتسهيل والتنوير دون مصادمة للنصوص.

4. الخاتمة

بعد استعراض مفهوم التنوير الإسلامي، وأثره في فتاوى وخطاب، وأنشطة جمعية العلماء المسلمين خلصنا إلى أن التنوير حتى وإن كان من المصطلحات الوافدة من الحضارة الغربية، إلا أنه حقيقة تجسّدت في الواقع الجزائري الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي أفرزتها مجموعة من مواقف علماء الجمعية من مختلف القضايا، والمستجدات المطروحة على الساحة، فالاستنارة بالمفهوم الإسلامي لا تعني الاستئصال، ولا إحداث للقطيعة، وإنما هي مواكبة وتحيين واستمرارية وتخلص من الجمود، والتقليد والتعصب، ومحاولة لربط الدين بالحياة، والواقع، وتوفيق بين العقل، والنقل، والاستجابة لمتطلبات الواقع دون انسلاخ وتنصل من الثوابت والأصول.

وقد سجّلت مجموعة من الملاحظات، و الفروق بين التّنوير الإسلامي والتنوير بالمفهوم الغربي :

1- أن التنوير الغربي يقوم على إلغاء الخطاب الديني جملة وتفصيلا، بينما التنوير الإسلامي فيقوم على تجديد الخطاب الديني وتهذيب أحكام الشرع وتنقيتها من البدع والخرافات لأنها دخيلة مع ترك الجمود ونبذ التعصب والتقليد.

2- أن الدين كان في أوربا المسيحية أداة للاضطهاد والاستعباد، و سببا للتخلف بينما الدين في المجتمعات الإسلامية، فقد كان أداة للتحرر، ورفض الطغيان، وتأليه الأشخاص والملوك.

3- أن التّنوير بالمفهوم الإسلامي ليس قفزا على النّصوص وتجاوز للخطاب الدّيني بالكلية ، وإنّما هو تجديد لمعاني النّصوص وعملا بروحها ، ومقاصدها ، أو هو تارة أخرى تجاوز لفتاوى وأقوال الفقهاء، و علماء الدين القاصرة والجامدة، والتي هي محض اجتهادات تصلح لزمن دون آخر، أو لعصر دون عصر لاختلاف الظروف والأحوال ، وقد تقرر عند الأصوليين والفقهاء انّ الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان .

4- أن التّنوير الأوربي بالمفهوم الحداثي، كان ثورة مكتملة الشروط والأركان أي أحدث قطيعة ابستمولوجية مع التّراث الكنسي والدّيني وانقلب انقلابا جذريا على تعاليم المسيحية ،بينما التّنوير الإسلامي فهو يكتسي طابع الإحياء والتجديد بإعادة قراءة النصوص قراءة تحيينيه تواكب العصر ولا تصطدم مع أصول الدين وقواعد الشريعة.

5- أن دعاة التّنوير الأوروبي في أغلبهم يحملون نزعة إلحادية مادية معادية للدين بينما علماء ودعاة التنوير الإسلامي فاغلبهم فقهاء وعلماء مجتهدون جمعوا بين الفكر والفقه بالواقع السياسي والاجتماعي.

6- أن علماء جمعية نجحوا في تبني الخطاب التّنويري لأنّهم لم يكونوا مجرد علماء دين وفقهاء بالمعنى التّقليدي والتّراثي، بل إنّ أغلبهم جمعوا بين الفقه والدين والفكر ،والإلمام بالتاريخ ودراية بالواقع السياسي على المستوى المحلي والعالمي، لذلك خرج خطابهم قريبا من واقع النّاس ملبيا لحاجاتهم ،وتطلعاتهم السياسية وقد شكّل نشاط هؤلاء العلماء وجهودهم أحد أخطر أدوات النّضال السياسي والمقاومة الفكرية والثقافية ضد الاحتلال الفرنسي الذي استهدف مقومات وثوابت الشعب الجزائري ، والإضافة التي تضمنّتها هذه الورقة البحثية تكمن في التقصّي عن تجليات النزعة التّنويرية في خطاب علماء الجمعية وتقديم نماذج تطبيقية عملية ظهرت في فتاوي ومقالات العلماء ومواقفهم من مختلف النوازل والقضايا الفقهية والسياسية والثقافية.

توصيات

ضرورة التجديد والاجتهاد في الدين و نبذ التقليد والتعصب والركون إلى المذهبية والتحزب المقيت.

ضرورة العناية والاهتمام بالتراث الجزائري وتراث جمعية العلماء المسلمين خاصة عبر مؤلفاتهم وجرائدهم والاستفادة من تجاربهم السياسية وجهودهم الدعوية والإصلاحية للنهوض بالمجتمع الجزائري .

الدعوة إلى تقريب وربط الجيل الحالي بسلفه من علماء ومفكرين وأدباء ورجال إصلاح من أجل صناعة جيل واعي ومؤثر في مجتمعه ومحيطه.

ربط جهود العلماء الفكرية واجتهاداتهم الفقهية بواقعنا المعاصر عند تشابه الوقائع والنوازل والبحث عن الحلول والأجوبة المناسبة.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

قائمة المراجع والمصادر

- أبو عبد الرحمن محمود . (2015). اثار الشيخ مبارك الميلي (المجلد 3). الجزائر، الجزائر: دار الرشيد للكتاب والقران الكريم.

- احمد الرفاعي شريف. (2011). مقالات واراء جمعية العلماء المسلمين الشيخ الطيب العقبي (المجلد 4). عين مليلة: دار الهدى.

- الدكتور أحمد الرفاعي شريف. (2011). مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين (المجلد 2). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

- الدكتور عبد اللطيف الشيخ الشيرازي الصباغ. (2005). مصطلح التنوير مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي الحديث. جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

-الشيخ مبارك الميلي. (الإثنين أفريل 1933). نهضة الجزائر اليوم ونهضتنا الإصلاحية. السنة النبوية المحمدية(02)، 01-02.

- الشيخ مبارك الميلي. (2001). رسالة الشرك ومظاهره. الرياض، المملكة العربية السعودية : دار الراية للنشر والتوزيع.

- الشيخ محمد البشير الابراهيمي. (2016). اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (المجلد 4). دار الوعي للنشر والتوزيع.

- د. التويجري. (06 نوفمبر، 2011). التنوير في الإسلام كيف ننظر له ؟ تاريخ الاسترداد 06 جوان، 2023، من البيان:

https://www.albayan.ae/culture/200116--11-t=%D988% %D984% %D8%B0%D984% %D920%83 % %D981% %D8%A5%D920% %86 %D8%A7%D984% %D8%AA%D986% %D988% %D98 %A%D8 %B120% %D8%A7%D984% %D8%A5%D8%B3%-D984%%D8%A7%D985%%D98%A%20%D987%%D988%%D8%A5%D8%B7%D8%A7%D8%B120%%D8%A

- جريدة الشهاب ،عبد الحميد بن باديس. (مارس، 1933). كراء الأسواق من الإجارة لا من المكس. 9، الصفحات 165-166.

- عبد الرحمن شيبان. (2009). حقائق وأباطيل. الأبيار، الجزائر: منشورات ثالة.

- مجمع اللغة العربية. (1425/2004). المعجم الوسيط. القاهرة، مصر: مكتبة الشروق الدولية.

- محمود، أبو عبد الرحمن. (2015). اثار الشيخ مبارك الميلي. الجزائر، الجزائر: دار الرشيد.

- د.أحمد بن محمد اللهيب 1432ه، تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، الرياض،السعودية، مجلة البيان.

ـ كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

عبد القادر شريفي، عبد الرزاق قسوم (2024)، مظاهر وتجليات الاتجاه التنويري في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 01، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص:303-310.